



الخميس 12 يونيو 2008 10:03 م
كتب: بقلم: د. سعد عمارة

مامحيني أمي الحبيبة؛ فقد حال الاعتقال بيني وبينك، فلم أستطع أن أزورك وأنت مريضة، ولم أتمكن من حضور جنازتك.

ماذا أفعل حبيبتني والسجان بلا قلب؟! فلا يشعر بلهفة أم، ولا بكاء طفل على أبيه البريء.. مرت مائة يوم على اعتقالني يوم 26/2/2008م، ومنذ اللحظة الأولى وأنت شاغلي الأساسي خوفًا على صحتك، باكيتًا في سجودي، داعيًا الله أن يربط على قلبك كما ربط على قلب أم موسى حينما غاب عنها ولدها محجورًا في قصر فرعون.

أمي.. كنت مشتاقًا إليك ولحديتك الحنون ودعانك الدائم لي ولأشقائي وشقيقاني بالرزق الحلال وأن ينجينا الله من كيد الطالمين.

أمي الحبيبة.. ما زالت كلمانك في أذني وقلبي وهي تُنزل عليّ أمطار الحب والعطف والحنان، وقولك مراتٍ تعليقًا على اعتقالني أنا وإخواني «وَمَا تَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ» (البروج: 8).

كنت أتمنى أن أراك لتخفيف آلامك النفسية نتيجة غيابي الاضطراري عنك، لكن- كما تعلمين- لم يكن الأمر بيدي.

كنت أتمنى أن أكون بجانبك حين دخلت المستشفى، ولكن عزأوك وعزائني أنني معتقل لأنني أحب ديني ووطنى وأقاوم الفساد والاستبداد والظلم، وأحلم بيوم تسود في مصر الحرية والعدالة والمساواة والرخاء، وتلك القيم العليا من الإسلام الذي نعتديه بأنفسنا وأموالنا، ونرجو أن نعيش وأن نموت في سبيله.

أمي الحبيبة.. نزل خبر وفاتك عليّ كالمصاعقة في سجن وادي النطرون ظهر يوم 1/6/2008م، أنساءل: "هل يُتَخَيَّل أن يُمنع أحدٌ من الاشتراك في جنازة أمه أو أن يُصلي عليها أو أن يستقبل العزاء فيها؟! ماذا يخسر النظام لو فعلها وأطلق سراح معتقل (ليس له تهمة حقيقية)؟! فربما يكون ذلك تخفيفًا من كره الشعب لهذا النظام، فهل هذا النظام مصمَّم على أن يبلغ السخط مداه؟!.

لقد عرضوا عليّ في المعتقل عرضًا وقد رفضته؛ حيث وافقوا- كما قالوا- على أن أحضر جزءًا من العزاء وسط قوة أمنية ضخمة وفي يدي "كلبش" مع جندي يقف بجانبني في العزاء.. إنها إهانة غير مقبولة؛ أن يتعامل النظام مع المعتقلين بهذه الصورة غير الآدمية.. هل يقبلها أحد المسؤولين لنفسه حتى لو لم يكن بريئًا؟!.

أمي الحبيبة.. لقد واساني إخواني المعتقلون بحبٍّ وعطف وأخوة، وكأنك كنت أنتِ أمًا لهم جميعًا، وصليت معهم عليك صلاة

الغائب، وكانت الدعوات المخلصة من الجميع مختلطة بالدموع والصلاة في المحبس كما ورد بألف صلاة طالما كان الحبس في سبيل الله وحين علمت أن الآلاف من إخواني وأحبابي وزملائي كانوا مشاركين في الجنازة والصلاة عليك أدركت الكرامة التي حباك الله بها، وأكرمك مع أبي بجنة الخلد جزاءً للقيم الإسلامية العظيمة التي ربمتانا عليها.

أخيرًا.. استأذنتك أمي أن أوجه رسالةً إلى الذين يظلمونني مع آلاف المعتقلين غيري، سواءً أكانوا نوابًا في مجلس الشعب يوافقون على مد قانون الطوارئ، أم كانوا منفذين للقانون أم كانوا متجاوزين له.

أقول لهم جميعًا: راجعوا أنفسكم قبل أن يأتيكم الموت، وتذكروا أن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، ولا يعزّركم بالله العرور؛ فالظلم ظلمات يوم القيامة، والذين يظلمون العباد لن تغنيهم صلاة ولا صيام إلا أن يصفح المظلوم عنهم، وهيئات هيئات.

ثمة شبهة أخرى يقع فيها هؤلاء الظالمون، وهي أنه إنما ينقذ الأوامر، ولم يظلم أحدًا والظالم هو من أعطى الأوامر، وقد سجّلها القرآن حينما تبرأ الذين اتبعوا (بضم التاء) من الذين اتبعوا (بفتح التاء)، قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ سورة (البقرة: 166).

ما لم يعرفه هؤلاء السجناء أننا نشعر بالقرب من الله في السجن ربما أكثر من الحج والعمرة؛ حيث الدعاء مستجاب في ثلث الليل الأخير، وهذا يعطينا سعادة لا يضاهاها سعادة رغم مرارة السجن، ويجعلنا أكثر تصميمًا على التمسك بطريق الحق الذي نسير عليه ويجعلنا أكثر إشفاقًا على الذين يظلموننا حينما يبيعون آخرتهم بدنيا غيرهم.

رحمك الله يا أمي، وأدخلك جنة الخلد.

' معتقل بسجن وادي النطرون